أوروبا كما رأيتها

من حديث شائق مع الشيخ المحترم

عبد الباقي عامر بدران

عضو مجلس الشيوخ

سائح فى طليعة رحلاته ، وفى مستهل جولاته ، ولكنه مع ذلك حقيق أن يكون فى هذه الفئة القليلة التى لاتفاخر الناس بما طلعت عليه من مشاهد الدنيا فى صورها الجامدة من أبنية وتماثيل ، وإنما تفاخر الناس بأنها استوعبت الأمم فى ضوء كله دراسة ، وفى كتاب لايجون فيه ولا لهو . والذين يلتزمون الدراسة الوافية فى رحلاتهم إنما يكابدون ألواناً وصوراً هى مزيج من العسر والضيق ، والبشر والغبطة ، لأنهم يريدون التعرف إلى كل شىء ، بعيداً عن زخارفه التى تحوطه من أعمال صانعيه ، فهم مقبلون أبداً على ضروب من التساؤل ، حتى إذا ماانتهوا إلى جواب سديد بلغت بهم الغبطة أقصى غاياتها ، ومنتهى ماتصل إليه من حدود .

أتدرى بعدئذ من هو هذا «السائح» ؟ هو الشيخ المحترم الأستاذ عبد الباقى عامر بدران ، وأنت تعرفه مافى ذلك من ريب ، تعرفه من حديثه الجامع عن «السلاح والمخدر» الذى نشر فى «المعرفة» فى عدد نوفمبر سنة ١٩٣٢ .

وأنت ملاق فى هذا الحديث الطريف أفواجاً من الآراء التى أتركها لك وحدك لتذيع فى جوانبك مقدارها وخطرها وأثرها . . . وهو حديث ابتكرته رحلة الشيخ المحترم إلى فرنسا وسويسرا وإيطاليا للمرة الأولى مع الصيف . قال الشيخ المحترم :

الشرق والغرب

ليس فى مقدور فصل واحد أن يجمع إليه أنباء هذه الرحلة أومشاهدها جملة واحدة فى شىء من التفصيل والدراسة ، فكل مافى أنبائها جليل يدعو إلى الإسهاب ، خطير يدعو إلى الإطناب ، ولكنى مع ذلك سأقصر الحديث معك على بضعة وجوه أستطيع القول بأنها فى صميم مانعنى « المعرفة » ببحثه الآن ، منها مايتصل بالتربية ، ومنها مايتصل بالاجتماع ، ومنها مايتصل بغير هذين الضربين من وجوه المسائل التى يستشعر القارىء الشرقى فيها شيئاً من النفع ، وشيئاً آخر من الخير .

وقبل أن أسترسل معك فى القول ، أود أن أجابهك بحقيقة واحدة ، هى أن هذه الرحلة إلى أوروبا كانت مستهل رحلاتى إلى الغرب ، وأنى كنت ألتزم فى التفكير فيها حالة هى مزيج

من الغبطة والرجاء ، الغبطة بما تتيحه لى من شهود الغربيين فى ربوعهم ، والرجاء أن يكون نتاج هـذه الرحلة من ذلك النوع الذى يذيع فى المشاعر ألواناً جديدة من الحقائق ، حتى أستطيع بهذا كله أن أجيب عن ذلك السؤال الأبدى : لماذا تقدم الغرب وتأخر الشرق . . ؟

والواقع أن الغبطة التى توفرت لى من وراء هذه الرحلة القصيرة الأمد ، لم تكن بالشىء المذكور إلى جانب الكسب الكثير الرائع الذى بلوته منها ، وهو فى تفصيله وجملته جواب حاسم عن ذلك السؤال ، وحجة ناهضة على أننا نستطيع — متى أردنا ذلك — أن نساير الغربيين جنباً إلى جنب . !

لقد يبدو هذا القول خيالاً واسع المدى ، ولكنه لن يكون إلا حقيقة ناصعة كالشمس ، حين نبذل قصارى الجهود فى تزويد الناشئة بضروب من التربية المألوفة فى بلاد الغرب ، وأعنى بها التربية التى لا تقوم على دعامة من الترهيب والتخويف والجهالة العمياء . . فاذا استطعنا أن ننبت الناشئة فى كنف هذه المثل ، كان علينا أن نمحو هذا السؤال الأبدى ، وأن نقول فى كثير من المباهاة : إن مصر قطعة من أوروبا ، وإنها تمشى مع الحضارة فى خطوات لا تلكأ فيها ولا التواء . . !

ولا خلاف على أن هذه الرحلة الأولى قد أتاحت لى أن أجابه ألواناً أخرى فيها مايثير دهشة المصرى الذى يرى أن مظاهر بلاده البارزة قد اختفت أمام ناظريه جملة واحدة ، وفيها مايثير إعجابه ، وما يثير حفيظته بعض الشىء . .

متناقضات

لقد ألفنا فى محيطنا الأزياء المتعددة ، بين العمامة على ألوانها ، وبين الطرابيش والقبعات ، وبين ضروب أخرى من لباس الرأس ومن دثار الجسم معاً ، ولقد عشت كما يعيش المصريون جميعهم فى ظل هذه الظاهرة ، وتلكم المشاهد ، حتى إذا ماستقبلت فى «مارسليا» — وهى أول مشاهد الغرب — إذ بهذا القلق فى الأزياء يختفى جملة واحدة . . ! فلا عمائم ولا طرابيش ولا أثواب فضفاضة ، لاشىء من هذا التنافر كله ، وإنما برزت الوحدة كاملة مهيبة على الرءوس ، فاستطعت أن أومن بأن هذه الوحدة فى الأزياء قد أتاحت للشعب كله أخوة صادقة وإجلالاً رهيباً . . وما الوحدة إلا بث روح التعاون الذى يحيى فى النفوس الإخاء والصفاء .

ولقد ألفنا فى محيطنا المشية الهادئة الخاملة ، حتى ونحن فى طريقنا إلى العمل ، وألفناها هذه التؤدة ، وأضفنا بها إلى سمات الجد والوقار . . ولكنى رأيت العجب العاجب حين انتهيت إلى « باريس » مع الصبح . . ! ! حركة دائبة ، السائرون على أقدامهم يسرعون الخطوات وكأنهم فى طريقهم إلى حفل منشود ، وتلك وجوههم لا تلتفت بمحاجرهم إلى هذا الجانب أو ذاك ، وإنما هى دائماً إلى الأمام . . ! إنهم فى طريقهم إلى أعمالهم يسيرون سراعاً ، وفى ذلك كله مايدل على أنهم قوم جادون ، وأن الوقت عندهم من ذهب . !

أما اللون الذي أحفظ صدري ، فإنه لون قاتم حقاً . . ! أتدري من أمره شيئاً ؟ سأهمس بأمره في أذن قرائك همساً ، حتى لا يبلغ إلى آذان مواطنينا الموظفين في مصلحة الجمارك . . !

لقد احتملنا حقائبنا معنا إلى الميناء ، ميناء الأسكندرية ، ولقد كانت شخصيتنا من جانبها الرسمي — على الأقل — معروفة لموظفي الجمارك ، ولكنهم مع ذلك هيأوا لنا وقفة انتظار طويلة الأمد ، حتى يقلبوا حقائبنا رأساً على عقب ، فأعلنت أننا ملاقون في فرنسا وفي جاراتها ضروباً من العنت متى انتهينا إلى موانئها ، وكان حقاً على أن أومن بذلك ، لأننا في ميناءنا المصري لم ننج من تلك الوقفة الطويلة ، فكيف بنا حين تطلق علينا كلمة «أجنبي» ، على أنه أمر غريب حقاً أن يكون موظفو الجمرك في فرنسا وفي سويسرا وفي إيطاليا — على الرغم من أعمالهم الكثيرة الشعب — أوفر نشاطاً وأجزل سهولة ، فهم لم يقلبوا الحقائب رأساً على عقب ، ولم يهيئوا لنا هذه الوقفة الطويلة التي تفضل بها علينا مواطنونا الأعزاء في الثغر السكندري . وأنت تدري من وراء هذه المعاملة قوة الانتباه التي تسيطر على أولئك الغربيين فتدعوهم إلى تزويد الوظائف برجال تدل أعمالهم على الكفاءة والخبرة .

أليس في هذا ما يدعو إلى حفيظة الصدر ؟ إني أرجو أن أباعد عن قرائك أشباه هذه المقارنات في الأزياء ، وفي السعي وراء العيش ، وفي تزويد الوظائف بالرجال العاملين ، حتى أنتهي بك إلى جوانب أخرى ، فيها ما يفصح لك عن طائفة من الأسباب التي أتاحت للفرنسيين أن يكونوا أمة لها طابعها البارز بين الأمم جميعاً . .

الفلاح والقرية

أنت تدري أني ألتزم الحياة الزراعية أكثر العام ، وأن القرية تساهم مع هذه الحياة بنصيبها الحافل ، وأنت تعلم من خصب التربة المصرية ما هو مضرب المثل ، كما تعلم من شأن « القرية المصرية » الشيء الكثير ، فلم يكن هنالك ما يزيحني عن التفكير في معرفة الفرنسيين من هذين الوجهين معرفة صادقة قائمة على التجارب . . . وأي شيء أقول لك إني خرجت به من هذه التجربة . . ؟ لن أسهب في القول ، وإنما أكتفي بأن أقول لقرائك إن الفرنسيين جديرون بمكانتهم حقاً . . . إنهم ينتفعون بكل شبر من أرضهم الصخرية التي لا رخاوة فيها ، وإن فلاحهم ليبدو — في حلته النظيفة وفي مظهره الأنيق البسيط — مثلاً للرجل الكامل ، فهو يفلح الحقل ، ولكنه مع ذلك رجل مستنير يساير أحداث أمته خطوة خطوة ، وله فيها رأي ، وله في تدبيرها أثر ، وهو يفلح حقله ، ولكنه مع ذلك لا ينسى حق بيته ، فله الأسرة السعيدة ، والأطفال الذين يشبون بين أدوات الزراعة ، وإلى جانبها ألوان من الكتب والصحف .

أما القرية الفرنسية ، فإنها جديرة بأولئك الريفيين الأصحاء السعداء ، أنيقة مسرفة في النظافة ، تكتمل فيها أسباب الترفيه ، لن يفد عليها دون أن يعرف من رجالاتها أحداً ، ففيها المطعم والمقهى والنزل ، ولها الطابع الدال على بالغ الهدوء والدعة .

لون الحياة فى باريس

وأنتقل بك الآن إلى باريس ، وأنا أعلم ما تثيره هذه المدينة فى أذهان قرائك للوهلة الأولى ، إنهم حيالها على كثير من التناقض ، يرى بعضهم أن باريس جماع اللهو والخلاعة والمجون ، وأن كل ما فيها لا حياة له إلا مع اللهو ، وقليون جداً هم أولئك الذين يعترفون لها بظاهرة من الجد ، وما أشك فى أن آمال الكثرة الغالبة ستنهار جملة واحدة ، حين أصارحهم القول بأن الباريسى لا يمضى طيلة يومه فى دعابة ولهو ، وإنما هو يساير نظاماً لا يعدوه ، فالأسرة قبل كل شىء ، والعمل بعد ذلك فى سبيل وطنه أول كل شىء .. ثم ينصرف بعدئذ إلى الترويح عن نفسه كما يفعل كل إنسان ، ولكنه يمتاز عنا بأنه يرفه عن نفسه وهو يفكر فى غده ، فلا يغلو فى اللهو ، ولا يسرف فى الدعابة . ومامظاهر اللهو فى باريس إلا أثر من اكتظاظها بالوافدين عليها من كل فج ، رجاء الترفيه وحده ، أما الباريسيون أنفسهم فقلما يباعدون هذه الظواهر التى أجلتها لك دون تفصيل ...

إن الباريسى يحمل على وجهه من بداءة الطفولة ميسم الجد والطلاقة ، لأنه يجد إلى جواره أبا وأما يساعدانه على أن يشب وفى طويته روعة الرجولة فى طلاقة الرجل الحر .. يجيبانه إلى مايريد ، حتى لو كان ذلك الذى يريده سيراً فى غير اتجاه ، كما رأيت بعينى ، فقد شهدت طفلاً يمسك بيد أبيه ويقول له : « هيا بنا » ، وشهدت الرجل يساير صغيره دون أن يقول له : « إلى أين ؟ » أو « اقعد » أو يستعيض عن هذا كله بلطمة تلزمه عرض الحائط ، ثم شهدت إلى ذلك منظراً عجباً يدلك على أنهم يخرجون أطفالهم إخراجاً روحياً حتى يتأتى لهم من الأسباب ما يعرفون به الحياة على وجهها الكامل .. كان ذلك فى « دوفيل » ، وكنت أسير على الشاطىء الجميل ذى الرمال الناصعة — شاطىء المانش — صحبة صديق فرنسى ، وكانت نظراتى كلها متجهة إلى مايحوط الشاطىء من فتنة ، إلى أن وقع نظرى على بضعة أطفال يجلسون حول تمساح وبأيديهم معاول من محار ابتكرت للعب ، ولكنهم تابعوا بها أعمالا لاتتمشى مع الألاعيب ... لقد كان التمساح جاثماً على الرمال وكأنه يريد أن يتحرك ، ولقد كدت أن أشفق على الأطفال الصغار من فمه أن ينفرج فيأخذهم إلى باطنه ، ولكن التمساح لم يكن إلا عمل من أعمال الأطفال أنفسهم ، ولم يكن هيكله بصورته الطبيعية إلا مأخوذاً من ألوان الرمل والحصى والقواقع ، على الرغم من أنهم لا يعرفون التماسيح إلا بين طيات الكتب .

أليس فى ذلك أبلغ الدلالة على أن الفرنسيين يتجهون بأطفالهم إلى لون من التربية الاستقلالية التى تهيىء لمواهبهم أن تنمو معهم نمواً كبيراً ؟

الأسرة الفرنسية

ويطيب لى أن أنتقل بك إلى الأسرة الفرنسية ، فأقول لقرائك إن التعرف إليها ليس — كما يبدو — هيناً سهلا ، فإن الفرنسيين على الرغم من بساطتهم يتابعون الحذر فى كل شىء ،

ولكنهم متى أمنوا جانب صديقهم الأجنبي أخلصوا له وبالغوا في إكرامه، حتى لينصرف ذهنه إلى التفكير في أنهم شعبة من العرب أو أشراف المصريين.

لقد تعرفت إلى أسرة فرنسية عريقة نامية الدوحة، شريفة سامية الشرف، لها الصيت البعيد، والجاه الواسع — وأرجو أن تعذرني من ذكر سيدها لك، لأني لم أستأذنه في ذلك — وكان تعرفي إلى هذه الأسرة مثار تجربة كلها خير ونفع، فعرفت من ظواهر الكرم الشيء الكثير، وأدركت أنهم لا يكرمون الضيف لقاء أجر منشود، وإنما يكرمونه ملجئين عليه ألا يكون الأجر المنشود سوى أحدوثة طيبة يعطر بها وطنهم الخالد، كلما تحدث عنهم إلى مواطنيه!

الحرية والروح القومية

هذه الدعاوة الواسعة المخلصة للوطن تدعوني إلى التأكيد لك أن كل فرنسي يشعر في نفسه شعوراً عميقاً بأنه رجل مسئول.. يعنيه من شأن وطنه: الجليل والتافه، وهذا الشعور وحده قد ألزمهم ألا يصلحوا من شأن هذه الثغرة التي تشوه إحدى أبنيتهم الرسمية الجميلة؛ لأنها أثر من آثار قنابل الألمان في الحرب العظمى؛ وهم يريدون لهذا الأثر أن يبقى، حتى تعلم أجيالهم كلها شأنه وما يرتبط به من حوادث. فلا يكون من همهم إلا أن تزكو في صدورهم حرارة الإيمان بحرية وطنهم الأقدس.

وإنه لمن أبلغ الظواهر دلالة على عميق رعايتهم للحرية، أنك لا تقع بينهم على خصومة يختلفها خلاف في الرأي، وأعني بها الخصومة الحادة العنيفة، فلكل فرنسي أن يجاهر برأيه، وأن يبتكر له الأسانيد والمحافل التي يذيعه فيها، ولكل فرنسي أن يجاهر بعقيدته، وأن يساهم بها في غمار الأحداث التي تلتف من حوله دون أن يجد لأحد من سلطان عليه إلا سلطان القانون..!

ولقد كسب الفرنسيون من هذه الجوانب الحية في تربيتهم وفي حريتهم، كل مظاهر الديمقراطية والنظام، فأنت تعجب بهم لا يتكالبون على ركوب السيارة أو الترام، ولا يتزاحمون حولها بالمناكب، وإنما يلتزم كل منهم مكانه الذي تلزمه إياه ورقة صغيرة يقتطعها من سجل في محطة (الأوتوبيس)، فلا يعدو الرقم الذي احتسب له، ولا يتذمر أو يثور.

وأنت تعجب بهم — وقد شاهدتهم أمام دار الأوبرا يوم عيد الحرية في ١٤ يوليو — يقفون وراء بعضهم بعضاً يترقب كل واحد منهم دوره في احتمال تذكرة من شباك المسرح قبيح له أن يشهد التمثيل ليلة العيد دون أجر. إننا هنا نتقاتل على هذا اللهو المجاني في سرادق من سرادقات الأفراح، ولكنهم هناك لا يبالون أأصاب واحد منهم حظه في شهود التمثيل أم أخطأه حظه فنأى به عن شهوده.

أكثر ما في باريس إذن يدل على الديمقراطية الواضحة، ولكن خير الوجوه التي تمثلت

فيها تلك الديمقراطية والتى شاهدتها فى زيارتى لجامعة فرنسا « السوربون » أن الجامعة كانت حافلة بالكثيرين من العظماء ، فلما استوضحت الخبر علمت أن الرئيس الأعلى للجمهورية مسيو « ليبران » قد وفد على الجامعة ليوزع الجوائز على المتفوقين من صغار التلاميذ فى امتحاناتهم ، ولقد دلتنى مظاهر البشر الواضحة على وجوه التلاميذ ، وهم يتقبلون الجوائز ، أن واحداً منهم لن يعثر فى مستقبله عثرة تنسيه هذه الساعة العزيزة عليه .

مصر فى باريس

كل هذا ، ولم أذكر لك شيئاً عن مصر فى « باريس » ، فالآن أذكر لك أن زيارتى للسوربون قد هيأت لى أن أفكر فى مصر بشىء كثير من حماسة الوطنية وحرارتها . ولقد فكرت فى الوطن وذكرته حين علمت أن « باريس » تزدحم بالطلبة المصريين ، ولكنى أسفت جد الأسف وعميقه ، لأن مصر — ولها شأنها فى أذهان الفرنسيين أنفسهم ، ولها علاقتها الثقافية بكل ما هو فرنسى — لم تأخذ مكانها اللائق بها بين مثيلاتها من الدول التى توفد بعوثها العلمية إلى باريس !

إن أكثر الأمم التى تربطها بباريس أواصر من العلم قد شيدت لها قصوراً يسكنها الطلاب طيلة عهدهم فى الدراسة ، ولقد زرت قصر المغاربة ، فألفيت الطلبة فيه — وهم أبناء وطن واحد — قد جمعوا شملهم واتخذوا لهم فى حياتهم طابعهم الوطنى المألوف ، ثم تلفت طويلا على أمل أعثر على قصر الطلبة المصريين ، ولكنى لم أجد له ظلا ! أليس هذا بالأمر الغريب ؟

إنه غريب حقاً ، لأن وجود الطلبة المصريين فى بيت واحد ، يهيىء لهم أن يكونوا شعبة لا تنافر بينها ولا فراق ، ثم إنه يتيح لهم أن يتنافسوا فى الدراسة والتحصيل ، ثم هو إلى ذلك كله يزيد فى أواصر التعاون بينهم ، فلا يلبثوا حين عودتهم إلى مصر إلا قوة موحدة الطبائع والميول !

ثم أليس محزناً حقاً أن أعلم — وأنا فى « باريس » — أن طالباً مصرياً أقعده المرض فلم ينهض أحد إليه فى كبوته إلا واحد أو اثنان ، لأن إخوانه لا يعلمون أين يقيم ؟ ثم أليس محزناً حقاً أن يعيش الطلبة تحت رحمة القلق الذى يساور النقد « العملة » ، فترتفع أجور المساكن عليهم حيناً حتى تستغرق الجانب الأكبر من رواتبهم على حين أنهم فى حاجة إلى التفكير فى التحصيل العلمى وحده ؟

إنى أضع هذه الصور المحزنة كلها حيال الحكومة حتى يكون لها من شهودها ما يحفزها على أن تعجل بتشييد القصر المصرى فى باريس ، لأنه إلى جانب ما يؤديه للطلبة من خير إنما يؤدى لمصر حقاً من حقوق الدعاوة المحتومة عليها فى كل حين .

السفارة المصرية فى باريس

ومادام الحديث قد استاقنا إلى البحث فى فضائل الدعاوة لمصر ، فدعنى أذكر لقرائك بالخير ذلكم الرجل العظيم « محمود فخرى باشا » سفيرنا فى باريس .

إنه لمن أبعث دوافع الأسف إلى نفسى أنى لم ألتق به فى فرنسا ، لأن برنامج رحلتى فيها لم يهيىء لى شرف التعرف إليه فى تلك الفرصة السعيدة التى أتاحها لزملائى حين دعاهم إلى الغداء

على مائدته فى قصر السفارة المصرية ، ولكن الحديث الطيب الذى سمعته من أولئك الزملاء ، ومن كل مصرى، لقيته فى فرنسا كلها، قد أتاح لى أن أعلم كثيراً من الفضائل الطيبة التى يمتاز بها هذا السفير المعظم، وما من شك فى أن سعادته يمثل مصر فى بلاد الفرنسيين تمثيلا ليس أصدق على نبالته وجلالته من ذلك العطف الجزيل الذى يسبغه عليه مولانا المليك : ومن هذه الأحدوثة الطيبة التى يترطب بها لسان كل مصرى فى الخارج .

بنك مصر — فرنسا

وإلى جانب الدعاوة المنتجة التى يقوم بها سعادة فخرى باشا ، تقوم مؤسسة « بنك مصر — فرنسا » فى باريس، وأولئك المصريون الذين استوعبوا تلك الخدمات الجليلة التى يؤديها لهم موظفو البنك المصرى فى عاصمة فرنسا ، ليعتقدون كثير الاعتقاد أنهم مدينون بالشىء الكثير من راحتهم إلى هذه الأيادى الطيبة التى يسديها إليهم أولئك الموظفون : فلتكن إذن هذه الخدمات منار حدب منا على هذه المؤسسة المصرية فى بلاد السين ، حتى تنتهى إلى أوج النجاح، وما أعتقد إلا أنها ماضية إلى النجاح حقاً : أليست هى أثارة من تفكير ذلكم الرجل الخصب الفكر « محمد طلعت حرب باشا» ؟ ثم أليس الموظفون فيها مصريين يحق لنا أن نضيفهم إلى جيش الدعاة المتحمسين لمصريتنا فى باريس ... ؟ دعنى أحمد إليهم جميل صنائعهم ، وأشكر لهم جزيل أياديهم ، فإن فى ذلك اعترافاً صريحاً ما أحسبنى إلا مديناً به لهم أبد الدهر.

الدعاوة لمصر

وإنه لمن بواعث الأسف حقاً — وأنا أتحدث إليك عن فضائل الدعاوة لمصر فى الخارج — أن أذكر لك بأنى التقيت فى « سويسرا » بواحد من أهلها ، فلما تطرق بنا الحديث إلى ذكر مصر ، إذ به يجهلها وكأنها مفقودة من خريطة العالم .

عبقرية المليك

ولكنه أمر يدعو إلى وفور البشر وبالغ الغبطة أن مولانا صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول حفظه الله، قد أدرك بسامى حكمته وثاقب رأيه، أن الدعاوة لمصر خير وأجدى من ذلك الصمت الذى تلتف به ، وإذا كان جلالته قد أسبغ آلاءه على مرافقنا العامة، ما يتصل منها بالتعليم فى الأزهر وفى غيره من المعاهد والجمعيات العلمية ، وما يتصل منها بالصناعة والزراعة وما إليها من أخلاف الشئون الداعية إلى رقى شعبه السعيد بحكمه وقيادته الموفقة السديدة ... إذا كان جلالته قد أسبغ هذه الآلاء الجليلة على شعبه ، فما من شك فى أن عنايته السامية بالدعاوة لمصر فى الخارج قد هدته إلى انتهاز فرصة انعقاد مؤتمر السياحة القادم، فأذاع بين الفنانين مسابقة للدعاوة عن السياحة بمصر أتاح للفائز الأول فيها كأساً ذهبية يحتفظ بها لعام كامل .

إن هذه الفكرة السامية تخلق لمصر أحد وثنه طيبة ، وليس ابتكارها بالأمر العسير على عبقرية جلالة المليك ، تلك العبقرية التى تمثل ثروة الأمة العقلية ، ما فى ذلك ريب .

سويسرا

وأجمل ما يطيب لى ذكره عن « سويسرا » أنها دون جدال « فندق العالم » ، وأن مناخها

وطبيعتها الساحرة قد وفرت عليها أسباب التفرد بمشاهد لاضريب لها بين ما رأيت من مشاهد الطبيعة . أما نظافتها فيكفى للإشادة بها أن أحدثك بأنى حين تركت القطار بعد سفرة طويلة من باريس، كان دخان القاهرة قد زود وجهى خلالها بشىء من أخلافه، فحين طلبت إلى خادم الفندق أن يتقدمنى إلى بيت الماء حتى أمحو به هذا الغبار، أجابنى إلى ماطلبت وهو يقول : « إنك ياسيدى قادم من فرنسا ، أليس كذلك ؟» ثم استوضحته السبب لأنى رأيته أكبر من بديهته ، فقال : أجل إنك ياسيدى قادم من فرنسا، لأن بلادنا لايوجد فيها هذا الغبار ! !

عبير الوطن

أما إيطاليا، فليس أدعى على الإمتاع فيها من مشاهد «فينيسيا» ، ومن مرائى «البندقية» ذات المسالك المائية الرائعة الفتانة، ومن مباهج «ميلانو» المتأنقة بمآثرها الرفيعة ذات الوجوه الرخامية الباعثة على أعمق معانى الغبطة والبشر .

إن جو إيطاليا قد هدانا إلى عبير الوطن، ولقد كانت الباخرة « أوزونيا » تتلهف معنا إلى الوادى، وكان كل شىء يهتف بنا أن الوطن خير وأبقى . .

ثقافة مصر

[بقية المنشور على الصفحة رقم ٤٣٤]

تحت راية واحدة ، وآخى بين أجناس أبنائها فى سمط واحد — تدين لغير العرب ، وتنطق بغير العروبة ، وتنادى بسوى العربية ؟ كلا ثم كلا .

لقد رأينا العرب — وقد قوضوا ممالك كسرى وقيصر ، ونشروا سلطانهم من حدود الهند حتى شواطىء المحيط الأتلانتيكى — وهم فى كل ذلك عرب لم يشب جنسيتهم شعوبية ولا نعرة قومية ، فكانت العصبية سر نجاحهم ، كما كان العامل اللغوى سبب ترابط مملكتهم المترامية الأطراف .

فالمدنية التى استطاعت أن تتغلب على مدنيتى الرومان والفرس ، وأن تتغلغل فى أوربا سبعة قرون، فتفرض سلطانها على مدنيتها العلمية فرضاً، مثل هذه المدنية محال أن تؤثر فيها نعرة كنعرة اليوم ، أو تقوض من بنيانها لبنة واحدة فكرة لما تختمر بعد ، أو تنال من عزتها المنيعة الجانب عاطفة لم تستقر على وحى من العقل ، ولا إلهام من التفكير والمنطق .

فاطمئنوا أيها السادة على العروبة ، واذكروا دائما أننا عرب ، سواء أشاء خصومنا أم لم يشاءوا ، واذكروا إلى جانب ذلك أننا لا نهدم عزتنا المصرية ، ولا نقلل من شأن تاريخنا المصرى ، أو ننسى روحنا المصرية ، وقوميتنا المصرية ، وتقاليدنا المصرية ، ولكننا ننسى شيئاً واحداً فقط ، فى سبيل زعامتنا المصرية التى انتشر ظلها فى أرجاء الشرق وبلاد العربية جمعاء ، ذلك الشىء الذى نود نسيانه فى هذا المجال هو الشعوبية التى تقوض الأمم وتبيد الشعوب ، وقديماً قرر دين العرب أن لا شعوبية فيه والسلام ؟